IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
مجلة جامعة الكوت للعلوم الإنسانية
ISSN (E): 2707 – 5648 II ISSN (P): 2707 – 563x
www.kutcollegejournal1.alkutcollege.edu.iq
k.u.c.j.hum@alkutcollege.edu.iq
المجلد 6 ، العدد 1 ، حزيران 2025

الشعراء والجنّ
محاولات تفسير الإبداع الشعري في التراث العربي

م. د. ثائر حسن جاسم [1]

انتساب الباحث
[1] قسم اللغة العربية، جامعة الكوت، العراق، واسط، 52001

[1]thair.jasim@alkutcollege.edu.iq

[1] **المؤلف المراسل**

معلومات البحث
تأريخ النشر: حزيران 2025

المستخلص
لماذا (و كيف) يكون الإنسان شاعراً ؟ أ هي قوى خفية فائقة القدرة تصل بالشعر بعض الناس فتجعله شاعرا مبدعا ؟ أم الشعر طبع يفطر عليه بعض الناس فطرة ؟ أم يُكتسَب الشعر اكتسابا وتعلُّما بالدُّرْبة والمِران ؟
يجد الباحث نصوصا تتضمن آراء وتصورات ونظرات كثيرة لعلماء الرواية ونقّاد الشعر وللشعراء أنفسهم منذ العصر الجاهلي إلى نهاية العصر العباسي تتصل بالإجابة عن تلك الأسئلة ... تتفق تلك الآراء أحيانا ، وتختلف أحيانا أخرى، وقد تجتمع في الفكرة الواحدة نصوص متناقضة، ومن هذه الآراء وتلك يمكن تحديد الخطوط العامة في التصوّر العربي القديم لهذا الموضوع.
لقد شاعت في التراث العربي القديم ، كما شاعت لدى الأمم الأخرى السابقة، فكرة ارتباط إبداع الشعر بقوى خفيّة سُمّيت (الجنّ) أو (شياطين) الشعراء ، بسبب الكلام الساحر الذي ينشده الشعراء فيؤثّر في نفوس المتلقّين كثيرا ويثير فيهم الإعجاب والتعجّب ، بحيث لا يمكنهم نسبة الشعر إلى قائله ، فيتصوّرون أن قوى خفية تلقيه على ألسنتهم. وقام هذا البحث على دراسة هذه المعتقدات التراثية لهذه العلاقة بين الشعراء والجنّ وتطورها دراسة نقدية تحليلية .

الكلمات المفتاحية: الشعراء، الجنّ، الشياطين، الأحلام، إبداع الشعر

Poets and the Jinns
Attempts to Interpret Poetic Creativity in the Arab Heritage

Dr. Tha'ir Hasan Jasim [1]

Affiliation of Author
[1] Department of Arabic Language, University of Kut, Iraq, Wasit, 52001

[1]thair.jasim@alkutcollege.edu.iq

[1] **Corresponding Author**

Paper Info.
Published: Jun. 2025

Abstract
Why (and how) does a person become a poet? Is it a hidden super-powerful force that connects poetry to some people and makes them a creative poet? Or is poetry a nature that some people are born with? Or is poetry acquired and learned through training and practice ؟
The researcher finds texts containing many opinions, perceptions, and theories of novelists, poetry critics, and poets themselves from the Jahiliyya era to the end of the Abbasid era related to answering these questions. These opinions sometimes agree, sometimes differ, and may combine in the same idea contradictory texts, and from these opinions and texts it is possible to determine the general lines of the ancient Arab perception of this subject.
In the ancient Arabic heritage, as in other nations, the idea that the creation of poetry is associated with hidden forces called (jinn) or (devils) poets, because of the charming words that the poets sing, which affect the souls of the recipients so much and arouse their admiration and wonder, that they cannot attribute the poetry to its author, so they imagine that hidden forces put it on their tongues. This research examined these traditional beliefs about the relationship between poets and jinn and its development in a critical and analytical study.

Keywords: Poets, Jinn, Demons, Creating Poetry, Dreams

المقدمة

لم تكن العقلية البدائية للإنسان القديم قادرة على تفسير ظواهر الكون ومظاهر السلوك الإنساني تفسيرا طبيعيا صائبا. كانت قدرة العقل الإنساني تقتصر على تصوّر علل وهمية خيالية لفهم تلك الظواهر لتحديد موقف الإنسان منها، ولذلك صنع الإنسان الأساطير.

إنّ العقلية الأسطورية لا تستطيع أن تدرك كيف يقوم إنسان ما من سائر الناس بعمل عظيم مُعجِب ، كيف يقوم به إنسان بنفسه، وهم عاجزون ؟! إنّ الصانع الحاذق الذي يصنع البُسُط البديعة أو

السيوف العظيمة لا يصنعها بنفسه، وإنما هي قوى غيبية تصنعها على يديه، والبطل الذي يقود الجيوش لا ينتصر بشجاعته ودهاء إدارته وقوة إرادته، وإنما هي الآلهة التي تنصره أو تنصر غيره عليه ، والكهنة الذين يتنبّأون بالغيب ، والسحرة الذين يبهرون الناس بسحرهم... كل هؤلاء تقف وراءهم مخلوقات خفية أُوتِيَت من القوة ما تقدر بها على عمل الخوارق والمعجزات والأمور الغيبية الفائقة التي يعجز عنها الإنسان وتدعو إلى الاعجاب بها والتعجّب منها .

ولقد شاعت طويلا لدى الأمم الكثير من تلك الأساطير والتصورات الغيبية مما يتصل بذلك وبقيت آثارها لدى كلّ الامم تقريبا حتى العصر الحديث. واستعمل العرب في جاهليتهم أكثر ما استعملوا ، لفظتي "الجن، والشياطين في حديثهم عن تلك القوى الغيبية والمخلوقات الخفيّة. وزعموا أننا دون الشياطين والجنّ في صدق الحس ونفوذ البصر" [1]

الجنّ وشياطين الشعراء

الجنّ ، في اللغة: خلاف الإنس، والواحد جنّي، وهم نوع من العالم سُمّوا بذلك لخفائهم على الأبصار واستتارهم من الناس فلا يُرَوْن [2] . والشيطان : كلّ عاتٍ متمرّد من الجنّ والإنس والدوابّ، والأصل في معنى اللفظة البعد والاعوجاج والالتواء ، وسُمِّي الشيطان شيطانا لتمرده وبعده عن الصواب وانحراف قصده عن الحقّ [3] . وعن ابن عباس أنه قال : " إنّ الجنّيّ إذا كفر وظلم وتعدّى وأفسد ، قيل شيطان، وإن قويَ على البنيان، والحمل الثقيل، وعلى استراق السمع قيل مارد ، فإنْ زاد فهو عفريت فإنْ زاد فهو عبقريّ " [4] . ويسمّون الجنّيّ (رِئيًّا) لأنه يتراءى لصاحبه على هيئة ما ، وسُمّيَ (هاتفا) إذا كان يهتف بصاحبه فيسمع صوته دون أن يراه، و (تابعا) لأنه يتبع صاحبه ويلازمه، و(هاجسا) لأنه يخطر بباله ويوسوس في صدره.

ويتخيّل العرب للجنّ أشكالا مختلفة تميل إلى الغرابة والتشويه مما يثير الرهبة ، ويصفون الصور التي تظهر لهم فيها ويقولون إن الغول تعرض للسُّفّار وتتلوّن في ضروب الصور والثياب [5] . وجعلوها قبائل كما كانوا هم قبائل وعشائر . ويتحدثون أيضا عن صلات عشق وحبّ كانت تتم بين الجنّ ونفر من الناس، و" زعموا أنّ التناكح والتلاقح قد يقع بين الجنّ والإنس وذلك أن الجنّيّات إنما تعرض لصرع رجال الإنس على جهة التعشّق وطلب السفاد وكذلك رجال الجنّ لنساء بني آدم "[6].

وكان العرب يرون أنّ الجنّ والشياطين قد أوتيت من القوة الفائقة ما تقدر بها على عظيم الأمور وعجيبها وغريبها . فقد يتهاوى إلى الأرض من أصيب بالصرع وكأن أحدًا يصرعه ولا أحد، فيتصوّرون أن الجنّ هي التي تصرعه . والمجنون عندهم من مسَّته الجنّ والطاعون هو من طعن الجنّ. ويقال : إنّ الطاعون هو وخز الشيطان[7] . وكذلك كلّ عجيب وغريب.

وقال الأصمعيّ : " المأثور من السيوف الذي يقال إنّ الجنّ عملته "[8].

وجعل العرب للجنّ بلادا وأماكن تسكنها ، بل كانوا يتوهّمون كلّ مكان غير مطروق مسكنا للجن والشياطين والأرواح. وذكروا أنّ (عبقر) مساكن الجنّ في بلاد العرب ثم نسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته فقالوا : عبقريّ، ويقال : ثياب عبقرية [9]. وقد قيل : كلّ جيد عبقري [10].

ولمّا كان للشعر تأثير كبير في النفس، ولِما تتّسم به لغته من الحذق والمهارة فقد نسب عمله إلى الجن أو الشياطين وكأنّ الإنسان لا يكون شاعرا لأسباب كامنة في طبيعة نفسه وتكوين شخصيته ولظروف في البيئة والمجتمع ولكن لأنّ الجنّ تصطفيه شاعراً منشداً عنها بين البشر ولم يكن من اليسير على العقلية الأسطورية القديمة أن تدرك الأسباب الطبيعية، والنفسية، التي تجعل من الإنسان شاعرا ، أو أن تدرك كيف تتم عملية إبداع الشعر التي يكتنفها الغموض وتثير العجب والإعجاب في النفوس. وقد شاع لدى العرب منذ القدم أنّ الجنّ أو الشياطين هم الذين يقولون الشعر ثم يلقونه إلى بعض الناس فيكونون شعراء. يقول الجاحظ: "إنهم يزعمون أن مع كل فحل من الشعراء شيطانا ، يقول ذلك الفحل على لسانه الشعر "[11] ، ويقول الثعالبي : "وكانت الشعراء تزعم أن الشياطين تُلقي على أفواهها الشعر، وتلقّنها إياه وتعينها عليه، وتدّعي أنّ مع كلّ فحل منهم شيطانا يقول الشعر على لسانه، فمن كان شيطانه أمرد كان شعره أجود . وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن أن ذكروا لها أسماء ، فقالوا : إنّ اسم شيطان الأعشى (مِسْحَل) واسم شيطان الفرزدق (عمرو) ، واسم شيطان بشار (شنقناق)" [12] . وشيطان امرىء القيس (لافظ بن لاحظ) [13] . وشيطان المخبل السعدي (عمرو)[14] ، وشيطان النابغة الذبياني (هاذر) [15] ، وشيطان عبيد بن الأبرص (هبيد) [16] . وكأنّ الشعر لجودته وإبداعه لا يعقل أن يكون من عمل البشر يقوم به أحدهم بنفسه. فلا بد من أن يكون الشاعر ملهما أو يوحى اليه، أو يعينه معين أي معين. " قال (الكميت) حين سمع قول (ذي الرمّة) : [من الطويل]

أعاذل قد أكثرتِ من قول قائلٍ وعيبٌ على ذي الودّ لوم العواذلِ

هذا والله ملهم، وما عِلْم بدويّ بدقائق الفطنة وذخائر كنز العقل المعد لذوي الألباب ! أحسن ثم أحسن " [17] . يصدر كلام (الكميت) هنا عن الإعجاب بشعر ذي الرمة واستحسانه . وادعى

أنّ ذا الرمة (ملهم) وكأن الشعر لجودته وإبداعه لا يمكن أن يكون من عمل الشاعر نفسه. ومثل هذا قول المفضل : " إذا ركب الطرماح الهجاء فكأنّه يُوحَى إليه " [18]. ويشير (أبو العلاء المعرّي) إلى ذلك بقوله [19] : [من الطويل]

وقد كانَ أربابُ الفصاحةِ كلّما رأَوْا حَسَنًا عدّوهُ من صنعةِ الجنّ

ولم يكن ذلك عندهم مقصورا على الشعر. فقد وردت إشارات كثيرة إلى نسبة ضروب أخرى من الأدب إلى الجنّ، فكان يقال لعبد الله بن يزيد ، خطيب الشيطان وكان كاتبا مفوّها. وكذلك كان (الكهّان) وهو كلام مسجوع يتسم بالغموض عرف عن الكهان والعرّافين والمتنبئين، في الجاهلية، وهم يدّعون أن توابعهم كانوا ينطقونهم به ويوحون اليهم فيه بأسرار الغيب. يقول الجاحظ: " وكان الذي كرّه الأسجاع بعينها وإن كانت دون الشعر في التكلف والصنعة، أن كهّان العرب الذين كان أكثر الجاهلية يتحاكمون إليهم، وكانوا يدعون الكهانة، مع كل واحد منهم رئيسا من الجن مثل (حازي) جهينة ومثل (شقّ) و(سُطَيْح) و(عُزَّى سَلَمَة) وأشباههم، كانوا يتكهنون ويحكّمون الأسجاع " [20] . ومما يوضح ويؤكد شيوع هذه النظرة التي تربط بين الشعر والكهانة من جهة والجنّ من جهة أخرى أنّ عرب الجاهلية حسبوا القرآن شعرا وذلك لما يجدون للقرآن من تأثير في نفوسهم فكأنّه الشعر أو السحر. وحسبوا النبيّ ﷺ شاعرا وساحرا وكاهنا ومجنونا لأنّهم تصوّروا أنّ لهذه الأمور كلها مصدرا واحدا وهو عالم الجنّ والشياطين.

وكان الردّ على المشركين الذي عدّوا القرآن شعرا وكهانة وسحرا ، من جهتين : أولاهما من جهة المصدر : فمصدر القرآن هو الله تعالى وحده لا شريك له. أما الشياطين فهي تتصل بالشعراء والمتنبئة والكهنة وتوحي إليهم . والثانية من جهة الغاية والهدف: فالقرآن أُنزل هُدى للناس وفيه صلاح دنياهم وآخرتهم، وفي الشعر والكهانة والسحر كذب وافتراء وغواية وضلال .

إنّ الربط بين الجنّ والشعر والكهانة والسحر والجنون، لدى العرب قديما، يتضمن تصوراً منهم لطبيعة السمات النفسية للشاعر وتكوين شخصيته . فالشاعر والكاهن والساحر يسلكون في حياتهم غالبا مسلكا غريبا وشاذا ، وينصرفون بحسهم وهواجسهم عن عالم الواقع إلى عوالم تخصّهم وحدهم تتسم بالغرابة والغموض. قال الراجز يسم الشاعر بالجنون ويلمح إلى بعض من سماته النفسية [21] :

حيّاكمُ اللهُ فإنّي مُنقلبْ
وإنَّما الشاعرُ مجنونٌ كَلِبْ

أكثرُ ما يأتي على فِيهِ الكَذِبْ

وذلك لِما يعتري الشاعر بعض الأحيان، وخاصة في أثناء عملية إبداع الشعر، من طغيان انفعالي أو نوبات حادة، أو حالات شاذة. ولما يبدو عليهم، عامة، من تقلب واضطراب واندفاع ومن ذلك ما روي عن جرير في أثناء نظمه قصيدته التي هجا بها بني نمير ، واطلعت عليه امرأة فقالت :لأصحابه : ضيفكم مجنون !! [22].

والشعر والكهانة والسحر والجنون كلها ترجع إلى مصدر واحد ، في تصوّرهم ، وهو عالم الجنّ. والشاعر والكاهن والساحر كلهم لهم القدرة على أن يأتوا بكلام ذي ايقاع مسجوع أو مقفًى يؤثر في النفوس ويشدّها إليه، وكأنّ علاقة كل واحد من هؤلاء بعامة الناس علاقة الحكيم الخبير الذي يعرف أكثر مما يعرفون، ويرى ما وراء ظواهر الأشياء ويحس بما لم يقع قبل وقوعه. وله قدرة كبيرة على التأثير في الناس لما له من حدة ذهن ونفاذ بصيرة. ويرى بروكلمان أن الشعر عند العرب قديما كان مرتبطا بالتصورات السحرية والدينية ... وكان وصف الحيوان والطبيعة وسيلة إلى سحر المطر والصيد [23] . ويقول: " إن الهجاء كان في يد الشاعر سحرا يقصد به تعطيل قوى الخصم بتأثير سحري ومن ثم كان الشاعر إذا تهيأ لإطلاق مثل ذلك اللعن يلبس زيّا شبيها بزيّ الكاهن ، ومن هنا أيضا تسميته بالشاعر أي العالم ، لا بمعنى أنه كان عالما بخصائص فنّ أو صناعة معينة، بل بمعنى أنه كان شاعرا بقوّة شعره السحرية " [24] . ويرى الدكتور فؤاد حسنين أن فنَّي الهجاء والمديح عند العبرانيين قد ابتعدا مع مرور الزمن عن الفنون الشعرية وأصبح كل منهما ضربا من السحر، فالهجاء دعاء على الإنسان به يستجلب الشرّ واللعنات وأما المدح فهو دعاء له [25] . والهجاء في أصله عند الأمم البدائية مرتبط بفكرة قديمة تزعم أنّ بعض الأفراد الذين لهم نفوذ خاص إذا تلفظوا بكلمات كان لها من القداسة والسلطان ما يجعل لها تأثيرا دائما في الأفراد أو الأشياء التي تنصب عليها كلماتهم، وعلى ذلك فقد كان الشاعر في أصل الهجاء يطلع على الناس بقوى شعره السحرية التي يوجهها الجنّ إليه [26].

ونستشفّ من تسمية العرب الشعر شعرا دلالة على تصوّرهم لشخصية الشاعر . فأصل لفظة (شعر) " من شَعَرت بكذا أشعر شعرا ، .. فطنت له، وعلمت به .. وسُمِّي شعرا لأنّ الشاعر يفطن له بما لا يفطن له غيره من معانيه " [27]. أما كيف تتكوّن الشخصية الشعرية للشاعر ؟ أو كيف يصبح الشاعر شاعرا ؟ فإنّهم يفهمون ذلك في إطار الربط بين الشاعر والجنّ . والأخبار والأشعار التي وصلت إلينا كثيرة من الجاهلية وما بعدها ، وهي تؤكد هذه الفكرة التي تعدّ الشياطين مصدر الشعر . من ذلك ما رواه صاحب

الأغاني بسند عن جرير بن عبد الله البجلي أنه قال : " سافرت في الجاهلية فأقبلت على بعيري ليلة أريد أن أسقيه، فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما تقدم، فتقدمت فدنوت من الماء وعقلته، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوهون عند الماء فقعدت، فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشدّ تشويها منهم فقالوا : هذا شاعرهم ، فقالوا له : يا فلان أنشد هذا فإنّه ضيف، فأنشد: [من البسيط]

وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ

فلا والله ما خرم منها بيتا واحدا حتى انتهى إلى هذا البيت :

تَسْمَعُ للحَلْيِ وسواسًا إذا انْصرَفَتْ كَمَا اسْتعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

فأعجب به ، فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . فقلت : لولا ما تقول لأخبرتك أنّ أعشى بني ثعلبة أنشدنيها عام أول بنجران . قال : فإنّك صادق، أنا الذي ألقيتها على لسانه وأنا (مِسْحَل) صاحبه "[28] . ولعلّ الراوي الذي اختلق هذه الحكاية واستلّها من تلك الأبيات التي قالها الأعشى، أراد يجسّم فيها صلة الشاعر الوثيقة بجنيّه (مِسْحَل) الذي أنطقه بالشعر ، والأبيات [29] : [من الطويل]

وما كنتُ ذا قولٍ ولكن حسبتُني إذا مِسْحَلٌ يبري ليَ القولَ أنطقُ

خليلانِ فيما بيننا من مودَّةٍ شريكان: جِنِّيٌّ، وإنْسٌ موفَّقُ

وقوله في أخرى [30] : [من الطويل]

حَبَاني أخي الجِنِّيُّ، نفسي فداؤُهُ بأفيحَ جيّاشِ العشيّاتِ خِضْرِمِ

ومنها [31] :

دعوتُ خليلي (مِسْحَلا)، ودعوا له (جهنّامَ)، جدعا للهجين المُذَمَّمِ

وفي رواية عن كُثيِّر أنّه قال : "ما قلت الشعر حتى قُوّلته . قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا يوما نصف النهار أسير على بعير لي بالغميم أو بقاع حمدان إذا راكب قد دنا مني حتى صار إلى جنبي، فتأملته فإذا هو من صفر وهو يجرّ نفسه في الأرض جرًّا . فقال لي : قل الشعر وألقاه عليَّ . قلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا قرينك من الجنّ. فقلت الشعر" [32] .

وباستثناء هذه الأخبار التي يبدو عليها الاختلاق يجد الناظر في النصوص نظرة متأنّية أنّ حديثهم عن الجنّ لم يكن كلّه قصدا للتلفيق وإنما هي منهم تفنّن في تشخيص تصوّراتهم الغيبية ، ومحاولات لتفسيرها، فقد كانت ثمة ظواهر غريبة كثيرة يعجزون عن فهم كنهها أو إدراك عللها ، ومنها تكوين شخصية الشاعر، وحالات إبداعه الشعر. وإن كانوا أبعدوا في تفسيرها وتحديد أسبابها الحقيقية فشأنهم في ذلك شأن باقي الأمم القديمة، إذ لم يكن للنظر العقلي نصيب كبير في نظرتهم للظواهر العجيبة والغريبة ، فقد يتراءى للإنسان بعض الحيوان أو بعض الأشياء صورا وهيئات تخيفه في وحشة الليل فيحسبها مخلوقات تراقبه أو تلاحقه. وقد يسمع في وحدته ووحشة انفراده في صمت الصحراء أصواتا يتخيّلها هتافا، وقد يجد الإنسان في أعماق نفسه تابعا له يلازمه ويحدثه. ولعلّه صار في الإمكان اليوم تفسير كثير من هذه الظواهر ودراسة طبيعتها اعتماداً على العلوم النفسية.

ولكن الإنسان قديما كان يحسب وراء ذلك مخلوقات حقيقية لها عالمها الخاص خارجا عن عالمه المرئي نفسه فكانت الجنّ، والشياطين، والغُمّار، والسَّعالي، والغِيلان .. وبهذه الكائنات الغيبية يسهل عليهم تفسير كثير من الظواهر الغريبة والفائقة. وقد يتزيّدون في ذلك ويختلقون من هواجسهم وتصوراتهم وخيالهم قصصا وحكايات يتداولونها جيلا بعد جيل على أنها حقائق ، من أجل التشويق وتعبيرا عن التعجّب . يقول الجاحظ معللا هذه الظاهرة تعليلا يتفّق ومذهبه المعتزلي الذي يعتمد على النظر العقلي : " يكون في النهار ساعات ترى الشخص الصغير في تلك المهامة عظيما ، ويوجد الصوت الخافض رفيعا ، ويُسمَع الصوت الذي ليس بالرفيع مع انبساط الشمس غدوة من المكان البعيد ، ويوجد لأوساط الفيافي والقفار والرمال والجِرار في أنصاف النهار مثل الدويّ من طبع ذلك الوقت وذلك المكان " [34] .

الأحلام وإبداع الشعر

ولم يقتصر تفسيرهم لنبوغ المرء بالشعر، باعتمادهم على فكرة الجنّ مصدرا له. فقد استعملت الأحلام أيضا لتفسير : لماذا - وكيف - يصبح المرء شاعرا . روي عن (أبي عبيدة) أنه قال : " رأت أم جر جرير وهي حامل به كأنها ولدت حبلا من شَعَر أسود ، فلما سقط منها جعل ينزو فيقع في عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثير ، فانتبهت فزعة، فأوّلت الرؤيا فقيل لها : تلدين غلاما شاعرا ذا شرّ وشدة وشكيمة وبلاء على الناس. فلما ولدته سمته جريرا باسم الحبل الذي رأت أنّه خرج منها . قال : والجرير الحبل " [35] . وكأن هذه الرواية تقول إن الشاعر يولد شاعرا ، أو يُكتب له أن يكون شاعرا قبل أن يولد . ويروى أن (أعشى همدان) كان أحد قرّاء القرآن أتى الشعبي يوما فقال له : " إنّي رأيت كأنّي دخلت بيتا فيه حنطة وشعير ، وقيل لي : خذ أيهما شئت، فأخذت الشعير ، فقال : إن صدقت رؤياك تركت القرآن وقراءته وقلت الشعر ، فكان كما قال " [36] . وقد يتنبأ الحلم بالأسلوب الشعري الخاص الذي سيكون عليه الشاعر ، روي عن السيد الحميري أنه قال : " رأيت النبيّ ﷺ في النوم وكأنّه في حديقة سبخة فيها نخل طوال وإلى جانبها أرض كأنها الكافور ليس فيها شيء ، فقال : أ تدري لمن هذا

النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله، قال لامرىء القيس بن حجر، فاقلعها واغرسها في هذه الأرض ففعلت وأتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي، فقال: أ تقول الشعر ؟ قلت : لا ، فقال : أما إنك ستقول شعرا مثل شعر امرىء القيس، إلا انك تقوله في قوم بررة أطهار . قال : فما انصرفت إلا وأنا أقول الشعر " [37] . وفي هذا إشارة إلى أن أسلوب السيد الحميري لغةً وبناءً يشبه الأسلوب الشعري لامرىء القيس إلا ان السيد صرف جلّ شعره إلى مدح أهل البيت. ويروي إسحاق الموصلي أنه أخذ الشعر عن جرير وذلك خلال حلم رآه في المنام . قال: " رأيت في منامي كأن جريرا جالس ينشد شعره وأنا أسمع منه ، فما فرغ أخذ بيده كبّة شَعَر فألقاها في فمي فابتلعتها ، فأوَّلَ ذلك بعض من ذكرته له انه وَرَّثني الشعر " [38] . ولا يستبعد أن يكون هذا الذي روي أنهم رأوه في الأحلام صحيحا. ولكن ليس من المعقول أنهم أصبحوا شعراء بسبب ما رأوه في المنام، هكذا فجأة، دون استعداد طبعي ولا إعداد تربوي كما تصور النصوص. ولعل هذه الأحلام تُلمح إلى الأطوار الأولى لتكوين شخصية الشاعر ونشأته الشعرية وذلك أنه يلهج بشعر شاعر كبير ، ويتولع بإنشاده وحفظه مع نفسه ويراه أجود الشعر، ويطفح ذلك في أحلامه.

الدلالات النقدية لربط إبداع الشعر بالجنّ

إذا تركنا جانبا تلك الحكايات الخرافية الأسطورية التي يتضح فيها الاختلاق، ووقفنا وقفة متأنّية عند النصوص التي تتضمن الربط بين الشعر والجنّ، لصلتها المباشرة بموضوع البحث، لاتّضح لنا أنّ كثيرا منها -على الرغم من أنه ينطلق أساسًا من التصوّر المتوراث بارتباط الشعر بالجنّ- قد يدلّ على معان أخرى ، وليس ترسيخ هذا الارتباط فحسب، فقد يكون مغزى النصّ أن يفتخر الشاعر بشعره وقدرته على التأثير، وقد يكون المغزى التعجب من جودة الشعر والإعجاب به، وقد يردُ ذكر الشيطان على سبيل الهزل والسخرية.

ونحن لا ندفع أن يكون العرب مؤمنين بأن الجنّ هم الذين يقولون الشعر ويلقونه إلى بعض الناس فيكونون شعراء ، ولكننا نرى أن نفرا من شعراء العرب ونقّاد الشعر ممن وصلتنا عنهم أخبار وأقوال ، في المراحل التالية خاصة ، لم يكونوا مؤمنين حقا بأن الجنّ أو الشياطين مصدر الشعر، وإن تكلموا بذلك. ونحسب أنهم إنما تكلموا بذلك لأنه موروث ثقافي متداول في كلام العرب الأقدمين وأشعارهمن وهم يتداولون هذا الموروث في كلامهم على سبيل المثل والمجاز لا على سبيل الحقيقة. وهم يرمون إلى معان أخرى، كما يتضح من النصوص غير إيمانهم حقيقة بالجنّ مصدرا للشعر ، اننا إذ نحاول فهم النصوص فهما صحيحا لا يصح أن نعتمد على أقوال الشعراء والأدباء أنها آراء وأفكار ثابتة مقررة. لأن لغة كثير من هذه الأقوال -إن صحّت نسبتها إلى قائليها- ليست لغة منطقية دقيقة ، إنما هي لغة فيها التمثيل والكناية والاستعارة. انها نصوص أدبية تعبر أكثر مما تعبر عن مشاعر وأحاسيس، ومواقف نفسية، ومعان مجازية ، وليس عن آراء وأفكار منطقية محددة. ولهذا يكون استعمال الربط بين الشعر والجنّ في المراحل المتأخرة من تراثنا العربي لدى كثير من أولئك ذا دلالات عدة ، لعلّ في الإمكان إيجازها في الأمور الآتية:

1- دلالة نقدية ذوقية : وذلك عندما ينسب الشاعر أو السامع الشعر إلى الجنّ، ليعبّر عن إعجابه بالشعر لجودته وإبداعه، وكأنّ من المستكثر على الإنس أن تقوم به، فينسبه إلى الجنّ، استعظاما له ، وعندما يستقبح شعر الشاعر يطعن بشيطانه ويذمّه، فهم يستعملون هذا الربط بين الشعر والجنّ للدلالة على مواقف نقدية ذوقية بإزاء الشعر والشاعر في حالَي الجودة والرداءة. من ذلك ما روي عن (المفضّل) أنه قال : " إذا ركب الطرماح الهجاء فكأنّه يُوحَى إليه " [39] . يعبّر بذلك عن إبداع (الطرمّاح) في الهجاء وكأنّ هذا الشعر لجودته وإبداعه ليس من (الطرمّاح) نفسه وإنما يُوحَى إليه به . ودخل (نُصَيب) على (عمر بن عبد العزيز) واستأذن أن ينشده من مراثي (عبد العزيز) فقال: " لا تفعل فتحزنني، ولكن أنشدني قولك: (قفا أخويَّ ...) فإنّ شيطانك كان لك فيها ناصحا حين لقّنك إيّاها " [40] . يقف (عمر بن عبد العزيز) موقف الناقد المتذوّق، وهو يختار قصيدة بعينها لأنّه يستجيدها، فكأنّها عنده من خير شعر (نُصَيب) . وقد عبَّر عن هذا الموقف النقدي الذوقي بقوله إنّ الشيطان كان ناصحا للشاعر حين لقنه هذه القصيدة، وهذا من باب المجاز . وليس من باب الاعتقاد بالفكرة حقا . ومثل هذا أيضا قول (جرير) في قصيدة (ذي الرمة) معبّرا عن استجادته لها: [من البسيط]

ما بالُ عينِكَ منها الدّمعُ ينسكبُ

إن شيطانه كان له فيها ناصحاً [41] .

ورُوِيَ أنه " أنشد رجل (ابن مناذر) قصيدة فجعل يقول : غفر الله لك ، غفر الله لك ! فلمّا فرغ قال : ردَّها على شيطانك لا يمتنُّ بها عليك " [42] . من الواضح أن (ابن مناذر) استقبح القصيدة واستغفر لناظمها استهجانا منه لشعره ، وهو إذ يطلب منه أن يردّها على شيطانه، يسخر منه. ويروى مثل ذلك عن (خلف الأحمر) ، قيل إنّ رجلا أنشده شعرا ، فقال له : " ما ترك الشيطان أحدا بهذا البلد الا وقد عرض عليه هذا الشعر، فما وجد أحدا يقبله غيرك " [43] . يتّضح أن الربط بين الشعر والشيطان هنا لم يأتِ على جهة الحقيقة

وإنّما ورد مجازا، ليعبّر عن موقف نقدي ذوقي تقييما للشعر المذكور في حالَي الجودة والرداءة.

2- دلالة أخلاقية: ذلك عندما يستعمل الربط بين الشعر والشيطان ليس للدلالة على أن الشيطان مصدر للشعر، وإنما للدلالة على أنّ الشيطان مصدر للغواية والضلال .. ان الشياطين هنا مصدر سوء أخلاق الشعراء وشدة تقلبهم، لما يتضح في شعر كثير منهم ، وليس مصدر شعرهم. وقد وردت هذه الفكرة في آيات عدّة من القرآن الكريم. ومما روي من ذلك أنه قيل (لخالد بن يحيي) : " لو قلت الشعر ، فقال : شيطانه أخبث من أن أسلطه على عقلي [44]. ومن ذلك أيضاً ما يرويه (حمّاد) عن أبيه وهو أنه قال : " أنشدني (أبو داود) ل (ابن ميادة) وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت : [من الطويل]

أ لم تَرَ أن الصادريّة جاورت لياليَّ بالممدور غير كثيرِ

... قال : قلت : ما أضحكك ؟ فقال : كذب (ابن ميادة) والله ما جلت إلا على حمار ، وهو يذكر بعيراً ويصفه، وأنها جلت جلاء غنيّ لا جلاء فقير ، فأنطقه الشيطان بهذا كله كما سمعت " [45]. إن ذكر الشيطان هنا ذو دلالة أخلاقية. فهو الذي أنطق (ابن ميادة) بالكذب والتلفيق، وليس في هذا ذكر لصلة الشيطان بإبداع الشعر في ذاته، ولكن بالقيمة الخلقية. و" عذل (ابن أبي عتيق) (عمر) في ذكره (زينب) في شعره، فقال (عمر) : [من الخفيف]

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي إنّ بي يا عتيق ما قد كفاني
لا تلمني وأنـــت زيّنتها لي

فبدره (ابن أبي عتيق) فقال : أنت مثل الشيطان للإنسان، فقال (ابن أبي ربيعة) هكذا وربّ البيت قلته . فقال (ابن ابي عتيق) : إنّ شيطانك وربّ القبر ربما أتمّ بي، فيجد عندي من عصيانه خلاف ما يجد عندك من طاعته فيصيب مني ، وأصيب منه " [46].

يتضمن إيراد الشيطان هنا في كلا الموضعين دلالة أخلاقية. فالشيطان في الموضع الأول هو الشيطان الذي يغوي الإنسان ويزيّن له عمل المحرّمات ، والشيطان في الموضع الثاني شيطان الشعر وهو يتضمن أيضاً معنى أخلاقيا. فشيطان ابن أبي ربيعة الشعري ربما ألمَّ بابن أبي عتيق وزيّن له التشبيب بالنساء اللواتي يقصدن مكة للحج ولكنه يعصيه تحرّجا خلاف ما يجد من طاعة عمر .

3- دلالة وصفية : وذلك أن يربط الشاعر شعره بعمل الجنّ يريد أن يصف حالة خاصة من إبداع الشعر وذلك عندما يجيء الشعر تلقائيا، وينثال عليه الشعر انثيالا دون عناء أو جهد من نفسه، فينسب ذلك إلى الجنّ يريد أن يصف حالة إبداع الشعر تلك من الداخل أو يصفه بذلك من يرونه ساعة النظم يتأزم وينفعل انفعالا فكأن الجنّ تهيمن على نفسه وهذا وصف للحالة من الخارج. من ذلك ما روي عن حسان أنه حدث عن نفسه فقال إنّ " السعلاة لقيته في بعض أزقة المدينة ، فصرعته، وقعدت على صدره وقالت له أنت الذي يأمل قومك أن تكون شاعرهم ؟ قال : نعم قالت: والله لا ينجيك مني إلا أن تقول ثلاثة أبيات على رويّ واحد ، فقال حسان : [من المتقارب]

إذا ما ترعرع فينا الغلام فليس يقال له: من هُوَ؟
فقالت : ثنِّهِ ، فقال :
إذا لم يَسُد قبل شدّ الإزار فذلك فينا الذي لا هُوَ
فقالت : ثلِّثه ، فقال :

ولي صاحب من بني الشيصبان فطورا أقول وطورا هُوَ " [47]

أراد (حسّان) أن يصف ضربين من إبداع الشعر : ضرب يكون بالجهد وعناء الفكر وتأزم النفس حدّ الجنون فنسبه إلى صاحبه من الجنّ من بني الشيصبان -معنى هذه اللفظة: الشدة والجدب- ، وضرب من إبداع الشعر يشبه عمل الصانع الذي فيه ما يصنعه هو بنفسه فنسب نظم الشعر إلى نفسه، وهذه النسبة ذات دلالة وصفية، بمعنى أنه يريد بهذه النسبة وصف حاله في أثناء إبداعه الشعر، وهو نفسه يقول [48] : [من الطويل]

وقافيةٍ مثل السنان رزينةٍ تناولتُ من جوِّ السماء نزولَها

ولكنه في البيت السابق نسب الشعر إلى قلبه كأنه يقصد صدق مشاعره في المديح ويوازره في ذلك لسان يحوك المعاني فيجيد . ان ذكر الجنّيّ مصدراً للشعر هنا ليس من باب الاعتقاد بذلك حقًا ، وإنما هو أسلوب موروث عمن كانوا يؤمنون بذلك فعلا، وإلا كيف قال النبيّ ﷺ لحسان: "اهجُهُمْ وجبريل معك" [49] ، و" إن الله عز وجل ليؤيد حسان بروح القدس " [50] ، و" عن أبي بريدة قال : " أعان جبريل • حسان بن ثابت في مديح النبيّ ﷺ بسبعين بيتا " [51] .. إن الإسلام ينظر إلى الشياطين على أنها تضلّ الناس وتغويهم شعراء كانوا أم غير شعراء، وليس على أنّها تُنطِق الشعراء بالشعر، والتفريق قائم على معيار خلقي.

ومثل قول حسان: (فطورًا أقول وطورًا هوَ) قول بدر بن عامر : [من الكامل]

ولقد نطقتُ قوافيـا إنسيّة ولقد نطقتُ قوافي التجنّنِ[52]

أراد بالإنسيّة التي يقولها الإنس، وأراد بالتجنين ما تقوله الجنّ .

وقال السكّريّ : " أراد الغريب الوحشي ". فالشاعر لم يرمِ إلى أنّ الجنّ تُلقي عليه الشعر. وإنما يقصد أنه ينطق بالشعر (الإنسيّ) المعتاد، وينطق بالأوابد أي الشعر الغريب الوحشي المعجب. ونسب ذلك إلى الجنّ على سبيل المجاز .

ويخالف الجاحظ من زعم أن ذكر الشيطان ورد على جهة الحقيقة في حديث آخر روي عن النبيّ ﷺ ورد فيه ذكر الشيطان. يقول الجاحظ : " فإنّ زعمتم أنّ النبيّ ﷺ نظر إلى رجل يتبع حماما طياراً فقال: " شيطانٌ يتبع شيطانا " فخبّرونا عمّن يتّخذ الحمام من بين جميع سكان الآفاق ونازلة من الحرميين والبصريين ومن بني هاشم إلى من دونهم، أتزعمون أنها شياطين على الحقيقة" [53].

يذهب الجاحظ إلى أنّ ذلك ورد على جهة المثل والمجاز وليس على جهة الحقيقة. ويورد أمثلة كثيرة مما زعم الناس في الشياطين ويفنّد مزاعمهم : " والناس يقولون في الابل أقاويل عجيبة. فمنهم من يزعم أنّ فيها عرقا من سفاد الجنّ، وذهبوا إلى الحديث : انهم إنما كرهوا الصلاة في أعطان الإبل لأنّها خلقت من أعنان الشياطين فجعلوا المثل والمجاز على غير جهته " [54].

و" قال أبو النجم :

إنّي وكلُّ شاعر من البشَرْ
شيطانه أنثى وشيطاني ذكَرْ

وهذا كله منهم على وجه المثل" [55]. والراجز الصغير السنّ هنا لا ينسب الشعر إلى الشيطان على الحقيقة وإنما يعني أنه قادر على الشعر متمكن منه وإن كان صغير السنّ حتى ليذهب بالشعر في كلّ فنّ !

وأنشد أبو النجم رجزه هذا عندما راجزه العجاج. وهو لا يعني أنّ له شيطانا ذكرا يلقنه الشعر على وجه الحقيقة وأن لغيره شيطانا أنثى ، وإنما أراد أن ينسب لنفسه التفوق في الشعر وهو في معرض فخر ومراجزة، وعبّر عن ذلك بـ(الشيطان) لأنه من الموروث اللغوي - الأدبي للشاعر وجعله (ذكراً) قاصدا أنه شاعر فحل ، لتفوق الذكورة على الأنوثة على ما يرى، فالمقصود بذكورة شيطان الشعر هنا الفحولة الشعرية ، وهي ذات دلالة فنية تقييمية عندهم ، ويؤيد ذلك تمام الرجز [56]:

فما رآني شـــــاعــرٌ إلا اسْتتَرْ
فِعْلَ نجومِ الليلِ عاينَّ القمرْ

فالربط بين الشعر والشيطان هنا ذو دلالة نقدية .

ومثل ذلك يقال في قول الراجز الملقب بالزفيان العُوافي [57] :

أنا العُوافيُّ فمَن عاداني أذقتُهُ بـــــــوادرَ الهوانِ
حتى تراه مطرق الشيطانِ علَّمني الشعرَ معلمانِ

فالشاعر يصوّر قدرته الشعرية إذا ما هاجى شاعرا آخر يفحمه ويذلّ شيطانه لأنه علَّمه الشعر معلمان من الشياطين ، والشاعر هنا لا يقصد أنه يتلقّى الشعر حقيقة عن شيطانين، وإنما يريد أن يبالغ في تصوير مقدرته الشعرية وجودة شعره، ويزيد في النكاية والتنكيل بمن عاداه من الشعراء فجعل شيطانه مطرق الرأس من هوانه .

ويُروَى في الأخبار أنّه " أقبل راكب من اليمامة، فمر بالفرزدق وهو جالس في المربد فقال له: من أين أقبلت ؟ قال : من اليمامة. قال: هل رأيت ابن المراغة ؟ قال نعم، قال : فأيّ شيء أحدث بعدي ؟ فأنشده: [من الكامل]

هاجَ الهوَى لفؤادِكَ المهتاجِ
فقال الفرزدق : فانْظُرْ بتَوْضِحَ باكرَ الأحداجِ

وكلما أنشد الرجل صدر البيت أنشد الفرزدق عجزه ، فقال الرجل: هكذا والله ، قال : أفسمعتها من غيري ؟ قال : لا ، ولكن هكذا ينبغي أن يقال، أو ما علمتَ أنَّ شيطانَنا واحد " [58]. يرمي الفرزدق بهذا القول إلى أنَّ مكانتهما في الشعر واحدة، ويتفق توارد الخواطر لديها فيتفق شعرهما . فكأنهما يصدران في الشعر عن مصدر واحد . ويقول الفرزدق أيضاً : شيطان جرير هو شيطاني إلا أنه في فمي أخبث" [59]. وهو يسجل بهذا ميزة له في شعره من الخبث والإفحاش وذلك أبلغ في الإيجاع.

لا نفهم من هذا وذاك أنهما يعتقدان حقا بالشيطان مصدراً لشعرهما ، وإنما يعبران بذلك عن مقدرتها الشعرية المتكافئة . وان لم نفهم ذلك على سبيل المجاز وقعنا في سذاجة الفهم وتناقض التفسير. وقد روي عن الفرزدق ادَعاؤه أنّ للشعر شيطانين هما : (الهوبر) و(الهوجل)، فهل نصدق بهذين الشيطانين ؟!. " ذُكِرَ أنَّ رجلا أتى الفرزدق، فقال: إني قلت شعراً، فانظره، قال : أنشد ، فقال : [من البسيط]

ومنهم عُمَرُ المحمودُ نائلُه كأنّما رأسه طين الخواتيمِ

قال : فضحك الفرزدق، ثم قال: يا ابن أخي إنّ للشعر شيطانين يدعى أحدهما (الهوبر)، والآخر الهوجل، فمن انفرد به (الهوبر) جاد شعره وصحّ كلامه، ومن انفرد به (الهوجل) فسد شعره، وإنهما قد اجتمعا لك في هذا البيت، فكان معك (الهوبر) في أوله فأجدت، وخالطك (الهوجل) في آخره فأفسدت " [60] . وهذا من الفرزدق على سبيل الهزل والتندر ، وإذ نقول : (هزل) نعني أنّ

الفرزدق لم يكن معتقداً حقاً بما يقول فلم نقرأ عند العرب من قبل مثل هذا القول، ويفهم من هذا كله أنه ورد على المجاز لا الحقيقة.

نخلص من هذا كله إلى أن العرب قديما كانت ترى أن الشعر - وكل ما يشبه الشعر في الإبداع وتأثيره الجمالي البالغ في النفوس - من عمل الجنّ تلقيه على نفر من الناس فيكونون شعراء . لكن هذه النظرة لم تبق وحدها لدى العرب في الجاهلية وبعد الاسلام ولم تكن مقنعة لدى كل الاطراف وإنما ظهرت أفكار ونظرات جديدة تقترب قليلا أو كثيرا من الفهم الواقعي لشخصية الشاعر ولعملية إبداع الشعر. ولم يبق استعمال فكرة الربط بين الشعر والجنّ - وان استمر ورودها لدى كثير من الشعراء ، والمعنيّين بالشعر - من باب الإيمان والاعتقاد بذلك حقا ، وإنما كان ذلك منهم لأنه موروث ثقافي أدبي توارثوه في كلام من سبقهم وأشعارهم . ويكون استعمالهم هذا الربط بين الشعر والجنّ استعمالا ذا دلالة نقدية ذوقية، أو استعمالا ذا دلالة أخلاقية، أو استعمالا ذا دلالة وصفية على ما وضحّنا .

وإلى جانب ذلك بقيت بعض كتب التراث النقدية والأدبية تورد أخباراً وقصصاً عن شعراء وأدباء عباسيين يلاقون الجنّ ويحدثونها وكأنها قصص وقعت حقا، فقد روي عن (دعبل بن علي الخزاعي) أنّه قال: " لمّا هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فإنّي لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود علي : السلام عليكم ورحمة الله ، انج يرحمك الله ، فاقشعر بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم ، فقال لي : لا تُرَع عافاك الله ، فإنّي رجل من أخوانك من الجنّ من ساكني اليمن طرأ إلينا طارىء من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوةٍ ومنزلُ وحيٍ مقفرِ العَرَصاتِ

فأحببت أن أسمعها منك، قال فأنشدته إياها، فبكى حتى خرَّ ... فقلت له : " يرحمك الله ان رأيت أن تخبرني باسمك فافعل ، قال : أنا ظبيان بن عامر" [61] . ورُوِيَ عن (أبي السري سهل بن أبي غالب الخزرجي) أنّه ادّعَى رضاع الجنّ، وله أشعار حسان وضعها على الجنّ والشياطين والسعالي. وقال له الرشيد : "إن كنتَ رأيتَ ما ذكرتَ فقد رأيتَ عجبا ، وإن كنت ما رأيتَه فقد وضعت أدبا" [62] .

ومثل هذه القصص التي وقعت حوادثها في عصر العباسيين ورواتها لقوا الشياطين من العصر العباسي نجده في جمهرة أشعار العرب [63]. وفي مقامات بديع الزمان الهمداني [64] ، وفي رسالة التوابع والزوابع [65] لابن شهيد ، وفي رسالة الغفران [66]، ورسالة الشياطين [67] من رسائل أبي العلاء المعري. فكأن تلك القصص والحكايات وهذه الأشعار تدل على بقاء الفكرة القديمة في اعتقاد بعض الناس، ولم يكن أكثر أولئك مؤمنين بوجود شيطان الشعر على الحقيقة. وإنما بقي ذكر مثل تلك القصص والحكايات في كتب الأدب وما يتصل بها على سبيل تقليد الموروث الأدبي، وتأليف الطرائف الأدبية. فابن شهيد يحدثنا في رحلته الخيالية التي اختلقها إلى أرض الجنّ عمن لقيه من شعراء الجنّ وخطبائهم، واصطنع لهم أسماء من عنده فكنية صاحب البحتري (أبو الطبع [68]، واسم صاحب أبي نواس (حسين الدنان) [69]. ونلاحظ أن أسماء الشياطين وكناهم تناسب الصفة البارزة في أقرانهم من الإنس.

ويذكر أبو العلاء المعري في (رسالة الغفران) فكرة شيطان الشعر التي عرفت لدى العرب قديماً ويقولها على لسان خازن الجنة (رضوان) : " وأحسب ما تجيئني به - يعني الشعر - قرآن أبليس اللعين نفثه في أقليم العرب فتعلمه نساء ورجال " [70] . وعلى لسان (ابن القارح) مخاطباً شيخاً من الجنّ يقول المعري : " أخبرني عن أشعار الجنّ، فقد جمع منها المعروف بالمرزباني قطعة صالحة . فيقول ذلك الشيخ : إنما ذلك هذيان لا معتمد عليه وهل يعرف البشر من النظيم إلا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الأرض ؟ وإنما لهم خمسة عشر جنسا من الموزون قلّ ما يعدوها القائلون، وإن لنا لآلاف أوزان ما سمع بها الإنس، وإنما كانت تخطر بهم أطيفال منا عارمون، فتنفث إليهم مقدار الضّوازة من أراك نعمان " [71] . وكتب المعري من جواب عن كتاب أبي الحسين أحمد بن عثمان النكتي :

" فليت شعري من يقول المنظوم في خاطره أ جِنِّيٌّ مَرَد . أم مَلَكٌ بالعبادة تفرَّد. قد حرتُ في ذلك . خَلَدُه مأهول بالقرآن فلا يسلك عفريت في صدره، والملائكة لا تنطق بمثل شعره، ولا نعلم الملائكة . فأما الجنّ فقد ورد عنها ما يعلمه منه " [72] . والناظر في هذه النصوص يستشف روح الطرافة والمزاح الأدبي، فأبو العلاء يسخر من شياطين الشعراء وينفي أي أثر خارق في قول الشعر ، وليس هذا غريباً على رجل آمن بالعقل واتخذه هادياً ومرشداً .

وإذا كان ذكر شيطان الشعر قد استمر في العصر العباسي على ألسنة الشعراء وعلماء الشعر - على قلة ما ذكر - فإنّ أكثر ذلك نجده مذكوراً على جهة المجاز والتقليد الأدبي. ومن ذلك ما روي عن (بشار) وهو أنّه كان يهجو (حمّاد عجرد) ولا يفحش في هجائه حتى قال حمّاد أبياتا أفحش فيها ، فقال بشار حين بلغته هذه الأبيات : " جزى الله ابن نهيا خيراً ! فقيل له : علام تجزيه الخير ؟ أعلى ما تسمع ؟ فقال: نعم، والله لقد كنتُ أردّ على شيطاني أشياء من هجائه إبقاءً على المودّة. ولقد أطلق من لساني ما كان مقيداً عنه، وأهدفني عورة ممكنة منه " [73] . ولا أحسب أن هذا الذي ذكره بشار يدل على ايمانه حقاً بأن الشيطان هو مصدر الشعر . وإنما ورد ذلك على سبيل المجاز. وإلا كيف قال : (أطلق من لساني ما

كان مقيداً) ؟! فنسب الشعر إلى اللسان، ولم يقل : " أطلق من شيطاني " ... ان بشار باستعمال لفظة (الشيطان) يصوّر مدى خبث شعره وفشحه والشر الذي كان يرد في خاطره فيمتنع عن قوله إبقاء على المودة، ولم يزل بشار بعد ذلك يهجو حماداً ويذكر أمه وأباه أقبح ذكر وبشار نفسه يقول: [من الطويل]

دعاني (شنقناق) إلى خلف بكرة فقلت : اتركنّي، فالتفرُّدُ أحمدُ

يقول الجاحظ في تفسير هذا البيت : يقول : أحمَدُ لي في الشعر ألا يكون لي معين " [74] . فكأنه يرى نفسه قادراً على الشعر متمكناً منه وليس به حاجة إلى شيطان. ولو كان بشار يؤمن بالشيطان مصدراً للشعر حقاً لما قال ذلك. ثم اننا نلمح تندراً في الاسم الغريب الذي اطلقه بشار على شيطانه (شنقناق) وما شنقناق ؟!!

إنّ ورود مثل هذه الأخبار لا ينفي أن يكون مجرى الفكر النقدي منذ عصر التدوين وربما قبله قد تغير في النظر إلى تكوين شخصية الشاعر نحو النظر العقلي البعيد عن الخرافات والاساطير والتفسير الغيبي لبزوغ الشعر لديه. هذا النظر الذي يشك فيما يروى اليه شك الناقد الحصيف الذي يميز، ويحلل ويقارن ثم يصدر حكمه بأناة. وأخذت مفهومات جديدة عن إبداع الشعر تتضح وتتقوى وتحل محل التصورات شاعت قديماً. وشاع أن الشعر ضرب من الصناعة. وانه من عمل الشاعر نفسه بما له من طبع، وبما يناله من علم وبما يكتسبه من دُرْبَة.

الهوامش

(1) الحيوان ٤: ٩١.

(2) ينظر : لسان العرب (جنن) .

(3) نفسه (شطن).

(4) الحيوان 1: 291 .

(٥) ينظر : نفسه ٦: ١٥٨ ، ٢٢٠ .

(6) نفسه ١ : ١٨٨ .

(٧) ينظر : لسان العرب (جنن) .

(8) الحيوان 1: 153 .

(9) لسان العرب (عبقر).

(10) نفسه (جنن). ومن مساكن الجن : (وبار) ، وينظر : الحيوان ٦ : ٢١٥، ٢١٦.

(11) الحيوان : 6: 225.

(12) ثمار القلوب ٧٠ وينظر: الحيوان ٦: ٢٢٦.

(13) جمهرة أشعار العرب ١:٤٨.

(14) الحيوان : 6: 225.

(15) جمهرة أشعار العرب : 1: 47.

(16) نفسه : 1: 45.

(17) الأغاني ١٨: ٧.

(18) نفسه ١٢: ٤٣.

(19) شروح سقط الزند ٢ : ٩١٧.

(20) البيان والتبيين 1: 289، 290.

(21) الحيوان 2: 15.

(22) ينظر: الأغاني ٨: ٣٠.

(23) ينظر تاريخ الأدب العربي ١:٥٥، ٥٦.

(24) نفسه ١:٤٦.

(25) ينظر من الأدب العبري ٤٥.

(26) ينظر الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ١: ٤٦.

(27) كتاب العين 10: 251.

(28) الأغاني ٩ : ١٥٦.

(29) ثمار القلوب : 50. والرواية في الجمهرة 1:12.

(30) ديوان الأعشى: 125. والأفْيَح : الواسع . والخضرم : الماء الواسع وهو هنا الجواد المعطاء.

(31) نفسه: 125. وجهنّام: لقب (عمرو بن قطنة) أو تابعته من الجنّ.

(32) الأغاني ٢ : ١٧٧ ، ١٧٨.

(33) نفسه 9: ٢٤.

(34) الحيوان 6: 248.

(35) الأغاني 8: 49.

(36) نفسه 6: 34.

(37) نفسه ٢٣٧، ٢٣٨.

(38) نفسه 5: 274.

(39) نفسه ١٢: ٤٣.

(40) نفسه ١ : ٣٤٥

(41) نفسه ١٨ : ٢٣ .

(42) الموشح ٥٥٣.

(43) نفسه ٥٥٧.

(44) التمثيل والمحاضرة ١٤٦.

(45) الأغاني ٢ : ٢٧٧.

(46) نفسه ١ : ٩٨ .

(47) لسان العرب (شصب) . والشيصبان: أبو حي من الجن.

(48) الموشح ٦٣.

(49) الأغاني ٤:١٣٨ وفي مسند أحمد بن حنبل ٤:٢٩٨ : " اهجُ المشركين فإنّ روح القدس معك".

(50) مسند أحمد بن حنبل ٦ :٧٢.

(51) الأغاني ٤ : ١٤٣.

(52) لسان العرب (جنن).

(53) الحيوان 1: 299.

(54) نفسه 1: 152 ، 153.

(55) نفسه 1: 300.

(56) ينظر الشعر والشعراء ٢:٦٠٣ .

(57) ثمار القلوب ٧٣ .

(58) الأغاني ٨:٣٢،٣٣. (ابن المراغة) : جرير .

(59) ثمار القلوب ٧٠ .

(60) جمهرة اشعار العرب ١:٦٢ ، ٦٣.

(61) الأغاني 20: 141، 142.

(62) وفيات الأعيان (في ترجمة معاذ بن مسلم) 5: 221.

(63) ينظر جمهرة أشعار العرب (الجزء الأول).

(64) ينظر شرح مقامات بديع الزمان (المقامة الإبليسية) : ١٨٤، ١٨٥.

(65) ينظر رسالة التوابع والزوابع ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٥٨.

(66) ينظر رسالة الغفران ٢٤٠ ، ٢٤٤.

(67) ينظر رسائل المعري (رسالة الشياطين) 105، 109.

(68) رسالة التوابع والزوابع ١٣٨.

(69) نفسه 158.

(70) رسالة الغفران ٢٤٤.

(71) نفسه ٢٨٣، والضُّوازة بالضم: شظية من الاراك.

(72) رسائل المعري ١٠٥ .

(73) الأغاني ١٤: ٣٤٥، ٣٤٦ .

(74) الحيوان 6: 288.

المصادر

- ابن حنبل، الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤- ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط. 1، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الاعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت (د. ت.).
- ابن شهيد الاندلسي، أبو عامر (ت ٤٢٦ هـ)، رسالة التوابع والزوابع، تحقيق: بطرس البستاني . مطبعة المناهل – بيروت، ١٩٥٠م.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار المعارف بمصر – القاهرة، ١٩٦٦م.
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ت 711هـ)، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د. ت.).
- الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)، كتاب الأغاني، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية – القاهرة ، (د. ت.) .
- الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد حسين، المطبعة النموذجية (د. ت.) .
- بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ترجمة: عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر– القاهرة، (د. ت.).
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت ٤٢٩هـ)، التمثيل والمحاضرة، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو . دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
- الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت ٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف – القاهرة ، 1985م.
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ ه)- ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر - القاهرة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م.
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨م.
- حسنين، فؤاد، من الأدب العبري، معهد الدراسات العربية، ١٩٦٣م.
- عيد الحميد، محمد محيي الدين، شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني، ط.٢، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٧٩م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، (ت ١٧٥هـ)، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي . دار الحرية للطباعة - بغداد .
- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (من أعلام القرن الخامس الهجري)، جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة لجنة البيان العربي ١٣٧٨ هـ / ١٩٦٧م.
- محمد حسين، محمد، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية، مكتبة الآداب، (د. ت.).

- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ)، الموشح، تحقيق: على محمد البجاوي. دار النهضة بمصر - القاهرة ١٩٦٥م.
- المعرّيّ، أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ)، رسائل أبي العلاء المعري، شرح: الأستاذ شاهين افندي عطية اللبناني، وقف على طبعها الشيخ أحمد افندي عباس الأزهري، المطبعة الادبية - بيروت ١٨٩٤ م.
- المعرّيّ، أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ)، رسالة الغفران، تحقيق: بنت الشاطىء، دار المعارف بمصر – القاهرة، ١٩٥٠م.
- المعرّيّ، أبو العلاء (ت ٤٤٩ هـ)، شروح سقط الزند، تحقيق لجنة إحياء آثار أبي العلاء، مطبعة دار الكتب – القاهرة، ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥م.